Edited with the trial version of
Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit:
www.foxitsoftware.com/shopping

المشاهد التصويرية في النص القرآني
-دراسة في الانفعال النفسي-

أ. حمادي ربيعة. باحثة دكتوراه
قسم اللغة والأدب العربي كلية الآداب واللغات.
جامعة سطيف 02 ـ الجزائر

ملخص:

أوضح البحث تعريفا للتصوير عند الدارسين القدماء والمحدثين وكذا في النص القرآني، وأوضح أن سر هذه القاعدة يكمن في الولوج داخل البنى العميقة للنص القرآني واستكشافها والغوص في إعجازها وتأثيرها.

ثم توسع الحديث عن الإعجاز البياني البلاغي في الخطاب القرآني إذ يعد الإعجاز اللغوي من أهم وجوهه من خلال تصوير هذا الإعجاز انطلاقا من الشرح والتحليل والتأويل و الإيحاء المتضمن الآيات القرآنية في مشاهد تصويرية رصدت الانفعالات النفسية في التعبير القرآني عبر شكلين: الصورة التمثيلية والصورة الحركية.

الكلمات المفتاحية:

الصورة – الإعجاز البياني –الصورة التمثيلية – الصورة الحركية.

Résumé :

La recherche et les études ont donné une définition de la figuration chez les anciens chercheurs' auteurs et dans le texte coranique. Ils ont éprouvé que le secret de cette notion consiste dans l'enfoncement dans les structures internes du texte coranique et sa découverte ainsi que l'ambigüité miraculeuse et son influence.
La recherche d propos le miracle éloquent et rhétorique dans le texte oratoire Coranique est élargie d'travers le temps, parmi ces genres les plus essentiels le miracle linguistique à travers l'explication, l'analyse, l'exégèse et l'inspiration que les versets de Coran renferment et leurs représentations dans des spectacles figuratifs, classant les émotions dans l'expression coranique en deux formes: l'image représentative et l'image motrice.

Mots clés : Image, miracle éloquent, l'image représentative, l'image motrice

تمهيد :لقد أثبتت الدراسات اللغوية –القديمة والحديثة– أن النص القرآني لا يضاهيه نظم في أي نص من النصوص التي ينشئها بين البشر لأنه نسيج فريد متكامل فيه مقومات النص الإبداعي المعجز وتجتمع فيه عناصر التكامل المعنوي و البلاغي التي تمنحه وحدة متراصة تتلاءم مع المقام الذي نزل فيه. لذا يعد النظم القرآني أعلى نموذج بياني وفني على الصعيد الأدبي لاشتماله

Edited with the trial version of
Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit:
www.foxitsoftware.com/shopping

على أسلوب يجمع بين روعة التركيب وجمال التعبير ودقة الانتقاء وقوة التأثير في عرض ساحر تستقطب عناصره في صيغة الأداء عن طريق التصوير.

إن التصوير يعد بمثابة القاعدة الأساس التي يقوم عنها التعبير الفني في القرآن لعرض حقائقه ومفاهيمه الدينية ولعل مرد ذلك أن التعبير باللغة التصويرية أقدر على بعث المعاني والأكثر تأثيرا في النفس من اللغة التجريدية فهو"الأداة المفضلة في أسلوب القرآن، فهو تعبير بالصورة المحسوسة والمشهد المنظور وعن النموذج الإنساني شاخص حي، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية"[1]

مفهوم الصورة الفنية:

1- عند القدماء:

تشيرالصورة الفنية في التراث العربي القديم إلى بعض الملامح والأوصاف التي تتحد على أنها الصورة البيانية فقالوا: هي تأليف حسن وسبك جيد وتشبيه مصيب، وتمثيل جيد، واستعارة بليغة...وقد أشار إلى ذلك الجاحظ في حديثه عن البيان والبلاغة وصناعة الشعر، فيقول: " المعاني القائمة في صدور الناس المتصورة في أذهانهم والمختلجة في نفوسهم مستورة خفية...وإنما يجلي تلك المعاني ذكرهم لها... مما يقربها من الفهم ويجليها للعقل، ويجعل الخفي منها ظاهرا، والغائب شاهدا والبعيد قريبا، وهي التي تجعل المهمل مفيدا، والمقيد مطلقا، والمجهول معروفا، والوحشي مألوفا...وعلى قدر وضوح الدلالة الظاهر على المعنى الخفي...والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى"[2]. ويقرر بنفس الصددبقوله:"البيان بصر والعي عمى"مما يفيد.

إن الألفاظ والتراكيب وكل إمكانات اللغة ووسائلها تؤدي صورة تكشف الغطاء عن المعنى وتجليه.

ويشترط الجاحظ لوصف كلام ما بصفة البلاغة" أن يسابق معناه لفظه ولفظه معناه فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك" وفي هذا إشارة إلى أن الكلام البليغ ينفذ عبر الحواس إلى الوجدان في اللحظة ذاتها؛ بمعنى أنه يستحوذ على الكيان ويؤثر في النفس جملة واحدة مما يفسر طبيعة الصورة الفنية الوجدانية.

وفي هذا يرى القاضي الجرجاني أن الاستحسان والاستهجان في الأدب إنما يخضعان لخصائص حسية شعورية لا يضبطها ميزان عقلي، أو مقياس منطقي، يقول :" الشعر لا يحبب إلى النفوس بالنظر والمحاجة، ولا يحلى في الصدور بالجدال والمقايسة وإنما يعطفها عليه القبول و الطلاوة، وتقربه منها الرونق والحلاوة"[3]

Edited with the trial version of Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit: www.foxitsoftware.com/shopping

وعلى نفس المنوال ذهب بن سلام الجمحي إذ يرى أن المقاييس الفنية لا تنضبط منطقيا، وإنما توصف آثارها، يقول: "والشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم، والصناعات منها ما تثقفه العين، ومنها ما تثقفه الأذن، ومنها ما تثقفه اليد، ومنها ما يثقفه اللسان"[4] وهي إشارة متقدمة إلى أنماط الصورة حديثا، والتي تتجاوز حاسة البصر إلى مختلف الحواس.

في حين نجد عبد القاهر الجرجاني يضع مفاهيم أكثر إيضاحا للصورة حين يقرنها بقضية النظم إذ يقول:"أن ليس الغرض بنظم الكلم أن توالت ألفاظها في النطق، بل أن تناسقت دلالاتها، وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل... أنه نظير كل ما يقصد به التصوير. والكلام عن جنس المزية، وأنها من حيز المعاني... وأنها ليست لك حيث تسمع بأذنيك بل حيث تنظر بقلبك، وتستعين بفكرك"[5]. وفي ذلك إشارة واضحة إلى أهمية التخييل في إخراج الصورة.

ويعرج مرة أخرى لصبغ الصورة بمحاسن البيان من حيث التشبيه و التمثيل و الاستعارة والمجاز فهي" أصول كثيرة لأن جل محاسن الكلام – إن لم نقل كلها– متفرعة عنها، وراجعة إليها"

وعن أسباب قوة تأثير التمثيل وعلله النفسية كخاصية من خصائص إخراج الصورة وما له من تأثير في النفس يقول:" إن الهدف هو التفخيم للمعنى والتكميل، فأول ذلك وأظهره،أن أنس النفوس موقوف على أن يخرجها من خفي إلى جلي، وتأتيها بصريح بعد مكنى، وأن تردها في الشيء تعلمها إياه، إلى شيء آخر هي بشأنه أعلم، وثقتها به في المعرفة أحكم، نحو أن تنقلها عن العقل إلى الإحساس، وعما يعلم بالفكر إلى ما يعلم بالاضطرار و الطبع، لأن العلم المستفاد من طرف الحواس أو المركوز فيها من جهة الطبع... يفضل المستفاد من جهة النظر و الفكر في القوة والانسجام و بلوغ الثقة فيه غاية التمام، كما قالوا: ليس الخبر كالمعاينة."[6]

ويرى أن التأثير في المتلقي يكون أوقع و أعمق إذا كان هذا المتلقي يتمتع بقدر عال من الذوق والإحساس، ليدرك لطائف التصوير، يقول:" ويكون للسامع ذوق وقريحة يجد لهما في نفسه إحساسا بأن من شأن الوجوه والفروق أن يعرض فيها المزية على الحملة"[7]. إنه الحس الفني الذي يلتقط فنيات البيان ويقف على روعتها، وهو أمر يجيده الخاصة دون العامة "قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون"[8]

و يوضح الزمخشري فهمه للصورة في فهم الاستعارة يقول في سر بلاغتها:"إن تصوير المشبه به، وتمثله في الخيال مصورا بصورته، يعد سر البلاغة في هذا النوع إذ إن الاستعارة المكنية تكون أكثر أحوالها مظهرا لتصور الحياة في الجماد، أو تصوير المعاني بتجسيدها أو تشخيصها"[9]

وثمة من رأى الصورة من حجم الإيقاع، وهو من المفاهيم المحدثة التي أكدها النقاد وقد سبقهم إلى ذلك بن الأثير بتعريف ينبض برهافة الحس والذوق الرفيع إذ يقول:" ألا ترى أن السمع يستلذ صوت البلبل، ويميل إليه ويكره صوت الغراب وينفر منه؟ والألفاظ على هذا المجرى... ومن له

Edited with the trial version of Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit: www.foxitsoftware.com/shopping

أدنى بصيرة. يعلم أن للألفاظ في الأدب نغمة لذيذة كنغمة أوتار، وصوتا مذكرا كصوت حمار وأن لها في الفم حلاوة، كحلاوة العسل، ومرارة كمرارة الحنظل، وهي على ذلك تجري مجرى النغمات والطعوم"[10]

2- عند المحدثين:

يجمع الدارسون المحدثون على أهمية الصورة الفنية كلبنة أساس في العمل الفني، غير أن الاختلاف لا يزال قائما بينهم، في إعطاء تعريف محدد لها، فجاءت تعريفاته تعبر عن وجهات نظر معينة، ويعزى السبب في ذلك إلى كون الصورة ذات طبيعة لينة ولزجة تأبى التحديد والتمثيل الواحد ولعل هذا ما دفع منير سلطان إلى تشبيهها بالصورة الفتوغرافية، مبينا الفضل والمزية للصورة عليها فيقول:" الصورة هي اللقطة التي تسجل وضعا معينا لشيء، سواء كان حيا أو ظواهر طبيعية، وهذا تصنعه آلة التصوير، وكذلك ما يصنعه الفنان لكن بينهما فروقا... فالصورة الفنية اللغوية تتميز بأن اللفظة التي التي يسجلها الفنان في وضع معين للشيء تضفي حياة على ما تصوره، ولا تثبته في وضع معين جامد، بل هي تمنحه من الحركة واللون والإيقاع، ما يجعله ربما أجمل من واقعه، وأكثر من ذلك أن المصور الفني يضفي من روحه وذوقه وثقافته على الصورة الفنية ما يعجز المصور بالآلة عن الإتيان به، فالصورة بالآلة تحكي شيئا واحدا، معنى واحدا، لحظة واحدة، بينما تحكي الصورة الفنية أشياء تتحرك في أوضاع وتوحي بمعان كما أنها تنسب إلى مصورها[11].

في حين يرى" كولوردج" الناقد الإنجليزي:" أن الصورة الفنية هي نتاج للخيال، ويصنفه إلى خيال أولي هو التصور، يشترك فيه عامة الناس وهو تلقائي ومعرفي، قوامه الملاحظة، وخيال ثانوي، يخص المبدعين يتجاوز الملاحظة والعادة والإبداع، ويتم بعد عملية صهر وإذا به تم شكل جديد"[12].

وثمة من يربط الصورة الفنية بالإحساس على اعتبار أنها وسيلة لإثارته إذ يرى الناقد ت.سإليوتأن:"نجاح الشاعر رهن بإحداث تعبير شامل في مجمل حساسيات مفردات الأمة"[13].

وإلى مثل هذا يذهب محمد غنيمي هلال إذ يعرف الصورة من وجهة نفسية يقول:"الصورة تجربة نفسية يعيشها المرء"[14].

وهناك من ينظر إلى الصورة بمنظار العاطفة والفكر، يقول أحمد الشايب:"هي الوسيلة التي عادل بها الأديب نقل فكرته وعاطفته معا إلى قرائه وسامعيه"[15]. باعتبار أن العاطفة تمنح التماسك والوحدة في كل أجزاء الصورة إذ أن الألفاظ والعبارات هي إيحاءات ورموز تحرك النفس، وتثير الفكر، وتستدعي التجارب والخبرات والعاطفة هي وقود لهذا العمل الفني المطعم بالإحساس والشعور. ومن الدارسين من يخرج الصورة من المجاز إلى الحقيقة دون أن ينقص ذلك من قيمة

Edited with the trial version of Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit: www.foxitsoftware.com/shopping

الصورة الفنية شيئا، يقول محمد غنيمي هلال:"إن الصورة الشعرية لا تلزم أن تكون الألفاظ والعبارات مجازية، فقد تكون العبارات حقيقية وتكون مع ذلك دقيقة التصوير"[16].

والصورة غير محصورة في الصور البصرية فقط، بل ثمة صور سمعية، وصور شمسية، وصور لمسية، وصور ذوقية وصور ذهنية وصور نفسية، وكذلك الشعر من دون إيقاع لا قيمة له يقول إبراهيم أنيس:"فليس الشعر في الحقيقة إلا كلاما موسيقيا، تنفعل لموسيقاه النفس وتتأثر بها القلوب"[17]. فالإيقاع ينفذ عبر السمع إلى الكيان الإنساني، فيؤثر فيه انقباضا وانبساطا بتحريك الوجدان وإثارة العواطف والانفعالات.

إن مفهوم الصورة الفنية يشمل كل هذه التعاريف السابقة الذكر، لتجعل منها شكلا فنيا قائما بذاته، تسهم في بنائه كافة الأشكال الفنية المتاحة من ألفاظ وعبارات تتخذ نظاما معينا ضمن نسق تعبيري خاص يشد الانتباه والتعبير تعمد فيه إلى تفجير جميع الطاقات الكامنة في اللغة من دلالة وتركيب وإيقاع وحقيقة ومجاز، وترادف وتضاد وتجانس وغيرها من وسائل التعبير الفني وهو ما يفسر مرونتها وشموليتها.

- **التصوير الفني في القرآن الكريم:**

إن التصوير الفني في القرآن الكريم خاصية أسلوبية بالغة الأهمية، يعرفه سيد قطب بأنه:"تعبير بالصورة المحسة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية وعن الحادث المحسوس والمشهد المنظور وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة... فإذا المعنى الذهني هيأة أو حركة، وإذ الحالة النفسية لوحة أو مشهد، وإذا النموذج الإنساني شاخص حي، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية فأما الحوادث والمناظر والقصص فيردها حاضرة، فيها الحياة وفيها الحركة، فإذا أضاف إليها الحوار، فقد استوت بها كل عناصر التخييل... حتى يحيل المستعين نظارة... حيث تتوالى المناظر وتجدد الحركات، وينسى المستمع أن هذا كلام يتلى ومثل يضرب، ويتخيل أنه منظر يعرض وحادث يقع... فإذا ما ذكرنا أن الأداة التي تصور المعنى الذهني والحالة النفسية، وتشخص النموذج الإنساني أو الحادث المروي، إنما هي ألفاظ جامدة، لا ألوان تصوير، ولا شخوص تعبر إدراكنا بعض أسرار الإعجاز في هذا اللون من ألوان التعبير"[18]. فهذا التعريف يعد شاملا لكل آليات التصوير وأدواته الفنية من تشخيص، وتخييل وتجسيم وإعداد اللوحة والمشهد... فالتصوير هنا يضعك أمام المشهد أو الصورة التي تكون ماثلة أمامك بواسطة الأسلوب القرآني فكأنك تراها وتعيش معها، أو تتحرك فيك وتارة تكون طرفا فيها.

وعليه يشير رمضان البوطي متحدثا عن طبيعة الألفاظ والمعاني يقول: "أن المعاني في القرآن تتحول عن وصفها موجودات مدركة بالفعل إلى صور حية تمر بخيال القارئ، ويلمسها إحساسه، وتكاد أن تراها عينه والألفاظ في القرآن، ينبوع يفيض بالصور والأحاسيس والألوان، وهذا النسق في

Edited with the trial version of Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit: www.foxitsoftware.com/shopping

القرآن نسق مطرد، وطريقة متبعة... وسواء كان يأمر وينهى، أو يخبر ويقص، أو يتحدث عن غيب أو يحذر من عذاب"[19].

وذكره مصطفى صادق الرافعي في قوله:"إنك لا ترى في القرآن الكريم غير صورة واحدة من الكمال إن اختلفت أجزاؤها من جهات التركيب ومواضع التأليف وألوان التصوير، وأغراض الكلام"[20].

ولأن الكلمة هي النسق الأول في التعبير عما تملكه من كثافة إيحائية هي دائما عين المعنى المراد وعلى وجه أدق غير أنها في بعض الأحيان تعادل الصورة نفسها وتجسدها وهذا ما ذهب إليه عبد الكريم الخطيب الذي يقول:"إنما تؤدي ما لا يؤديه العمل السينمائي اليوم من نقل المشاهد بحركاتها، وسكناتها، ونطقها، وصمتها، وكم تتكلف السينما لهذا العمل من لقطات مئات وألوفا !"

ويصف الباقلاني جمال روعة الكلمة القرآنية مفردة ومتضامة مع غيرها من الكلمات يقول:" أنظر في آيه آية وكلمه كلمة، فكل كلمة لو أفردت كانت في الجمال غاية وفي الدلالة آية، فكيف إذا قارنتها أخواتها، وضامتها ذواتها مما يجري في الحسن مجراها وتأخذ في معناها"[21]. ولعل هذا ما يدعونا للقول أن اللغة التصويرية في القرآن الكريم تبلغ قمة الأداء الفني، وتأخذ أبعادا لا نهاية في الدلالة تمتد عبر الزمان والمكان للأجيال المتعاقبة من يؤكد أن التصوير الفني في القرآن وجه من وجوه الإعجاز البياني.

- **مظاهر التصوير الفني في القرآن:**

أولا- الكلمة: أن الكلمة في الحقيقة انبعاث لصورة ذهنية ينتجها الفرد تمثل كثافة إيحائية ودلالية هامة لمفاتيح الصورة المرادة ولعل هذا ما عبر عنه بكري شيخ أمين من خلال ثلاث سمات للكلمة "الأولى: جمال وقعها في السمع، والثانية انتسابها مع المعنى، والثالثة اتساع دلالتها"[22]. وهو ما لا يتوفر مجتمعا ولا مطردا إلا في القرآن الكريم، ومثال ذلك لفظ (يرتقب) في قوله تعالى:« فأصبح في المدينة خائفا يرقب... »[23]. إذ ترسم هذه اللفظة صورة الخوف المتلفت.

وقد يشترك الجرس والظل في مفردة واحدة كقوله تعالى:« يوم يدعون إلى نار جهنم دعّا»[24]. فلفظة (يدعون) تفيد الدّع وهو الدفع في الظهر بعنف[25]، وهو ما يوضح حقيقة مفادها أن لا ترادف في القرآن، فكل كلمة تملك معنى خاصا بها لا تؤديه كلمة أخرى حتى وإن بدى التشابه للوهلة الأولى، فمثلا قوله تعالى:« إذ أنجيناهم من آل فرعون يسومونهم سوء العذاب يذبّحون أبناءهم ويستحيون نساءهم وفي ذلك بلاء من ربكم عظيم»[26].فاستخدام لفظة (يذبّحون) بالتشديد أولا لتهويل ما حدث، وثانيا لتبيان كثرته، وثالثا لإبراز نوعيته، وغيرها لا يسد مسدها، إنه سمو التعبير القرآني الذي يحتاج إلى التدبر وإعمال الفكرلمعرفة السر في إيثار كلمة على أخرى[27].

Edited with the trial version of Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit: www.foxitsoftware.com/shopping

ثانيا- الآية: هي سر من أسرار الذوق البلاغي والإعجاز القرآني ومظهر من مظاهر التصوير الفني، إنها الوحدة التي يتألف منها النظم القرآني ولهذا فقد تكون الآية جملة تامة، وقد تكون جزءا من جملة، أي أن الجملة تتألف من عدة جمل متعددة:

أ-نموذج عن الجملة التي تتألف من آيات:

في قوله تعالى:« فأمّا من أعطى واتّقى وصدّق بالحسنى فسنيسّره لليسرى»[28]

ب-الآية جملة واحدة تامة ومستقلة:

كقوله تعالى:« وربك فكبّر وثيابك فطهّر والرّجز فاهجر ولا تمنن تستكثر ولربّك فاصبر»[29]

ج-الآية الواحدة تتكون من عدة جمل متعاطفة ومتداخلة: وهذا النوع نحو قوله تعالى:«يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم إنّ الله عليم خبير»[30]

وكما تؤدي الكلمة القرآنية الصورة، كذلك العبارة القرآنية لصياغة بارعة تبرز القصد الديني والجمال الفني، وتلائم مختلف أحوال المواطن وتتسع لمختلف مناخات الفهم بدقة متناهية.

1-لقد ورد في القرآن الكريم آيتان متشابهتان كل التشابه، ولم يكن الفرق بينهما إلا بتقديم ضمير وتأخير آخر، وهذا فقط كان كفيلا بجعل المعنى مختلفا جذريا لأن المخاطب تغير بتغير الضمير، قال تعالى:« ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإيّاهم »[31]

وجاء في موضع آخر قوله تعالى:« ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم»[32]

في الآية الأولى (من إملاق) وفي الثانية(خشية إملاق)، في الأولى (نحن نرزقكم وإياهم) وفي الثانية(نحن نرزقهم وإياكم)، إن الآية الأولى تتوجه بالخطاب إلى الفقراء ممن يقتلون أولادهم بسبب الفقر إذ أنهم لا يجدون الرزق لأنفسهم فما بال أولادهم!، والآية الثانية موجهة للأغنياء الذين يخشون الفقر وتخيفهم كثرة الأولاد فيتخلصون منهم بقتلهم، لذا قدّم في الآية الأولى ضمير المخاطب (نرزقكم) على ضمير الغائب (إيّاهم)، أما الثانية فقدم فيها الغائب (نرزقهم) على ضمير المخاطب لإصابة المعنى لأنه سبب الخشية.

كما ورد نظام التقديم والتأخير في القرآن الكريم استنادا إلى اعتبارات معنوية (كالتسويق والعناية والقصر والحصر...) أوفنّية (كالجمال وحلاوة النغم)، من ذلك قوله تعالى:« أفغير الله تأمروني أعبد أيّها الجاهلون»[33]

والأصل في اللغة أن نقول:"قل يا أيها الجاهلون أتأمروني أن أعبد غير الله"، إذ يفيد هذا التصوير بهذا الترتيب الغرابة والتوقف للنظر، فكما أن أمر هؤلاء الجهال غريب ومنكر، كذلك ورد الترتيب على غير العادة

Edited with the trial version of Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit: www.foxitsoftware.com/shopping

وعن الاعتبارات الأخرى من فصل ووصل فإن مؤداها هو الإقرار ببراعة التصوير القرآني في آيات كثيرة من القرآن الكريم.

2-**التخييل الحسي**:هو تحويل اللفظ من المعنى المجرد إلى الصورة الحسية المتخيلة، إن الخيال يعمل في الصورة وفي جزئياتها وبتخيلها بمختلف الأشكال كما تدع الحس يتحسسها ويتأثر بها... وهو موجود في أغلب الصور الفنية في القرآن"[34]. إن الكلمة المولدة لتصورات الحسية بالنسبة للأشياء المادية الغائبة عن النظر.

وللتخيل الحسي ألوان منها:

أ-التشخيص:وهو تحويل الجماد إلى الظواهر الطبيعية والانفعالات إلى شخوص حية، ويعرف عند البلاغيين بالمجاز؛ أي اللفظ المستعمل لغير ما وضع له في أصل اللغة لعلاقة قد تكون التشابه أو النسبة أو الزمانية أو المكانية .

وقد أقر سيد قطب على أن التشخيص حقيقة وليس مجاز فمثلا في قوله تعالى:« تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبّح بحمده»[35]. معناه أن التسبيح فعل يقوم به كل ما في الوجود، فكل خلائق الله ذات روح ولا يعلم هذه الروح إلا خالقها.

ب-تخيل للحركة المقبلة: نحو قوله تعالى:« وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها»[36] فهم معرّضون للسقوط في أية لحظة وفجأة ينقذهم الله.

ج-متخيلة بلفظ مصور أو عبارة:نحو قوله تعالى:« ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين»[37]

د-تخيل بالحركات السريعة المتتابعة:ومنه الآية التي تصور المشترك الذي يحفظه الطير من شدة إثمه وجرمه في حق الله نحو قوله تعالى:« ومن يشرك بالله فكأنما خرّ من السماء فتخطّفه الطير أو تهوي به الريح من مكان سحيق»[38]

هـ-التخيل بمنح الحركة للساكن: نحو قوله تعالى:« واشتعل الرأس شيبا »[39]. فقد منحت هنا حركة الاشتعال للشيب... وهو مسكن وكأنه نار في الهشيم ونظير هذا قوله تعالى:« وفجّرنا الأرض عيونا»[40]

وهكذا تلتقي هذه الألوان من التعبير عن سمة واحدة هي استحضار المشهد وإحيائه كأنما هو حاضر محسوس، كائن مشهود فالقليل فيه يؤدي الكثير. والمتخفي يضيئه الظاهر مما تحمله الصورة من معان تتكثف لتحضر أمام المتلقي دفعة واحدة هي تتداعى فيها إثارة الكلمة وإشارة الصورة منحى رائع فريد.

- **أنماط الصورة:**

Edited with the trial version of Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit: www.foxitsoftware.com/shopping

لقد شغلت الصورة النفسية حيزا واسعا من التصوير القرآني فأخرجت المشاعر الدفينة والحالات الشعورية في مظهر الملموس المحسوس وجعلت ماثلة للعيان لتكون صفحات النفس بارزة تنطق بما تحب وتكره، وتعكس أمارات الخوف والأمن وتكشف عن سكونها واضطرابها، ولا شك في أن هذا الأسلوب في العرض يجعل تأثيرا مضاعفا، والوصول إلى الوجدان ممكنا، ويجعل المسافات الطويلة مختصرة وعليه اهتدى البحث إلى أنماط في الصورة النفسية المرسومة في الخطاب القرآني بدقة.

وللإشارة فإن هذه الأنماط قد تتداخل فيما بينها بحيث يمكن إطلاق عدة تسميات على الصورة الواحدة.

1-الصورة التمثيلية:

يضرب المثل في القرآن الكريم غالبا عبر مظهرين اثنين: القصصي والصوري، فإذا كان الأول يضفي على النص القرآني طابعا سرديا يدفع المتلقي إلى معايشة أجواء الواقع بكل أبعادها الزمانية والمكانية وحيثيات الحدث، فإن الثاني يفضي إلى مشاهدة نماذج من الناس والأشياء من خلال الطابع التصويري الذي يرسم ملامح صورة طافحة بغنى دلالاتها يطلق عليها الصورة التمثيلية[41].

في الصورة التمثيلية التي ترسم النفس في قلقه الدائم وحيرتها المستمرة صورة رجل آمن ثم كفر اهتدى إلى موجبات الإيمان ودلائل الفطرة ثم ارتد عنها بعنف وشدة، فظل مضطرب الفؤاد لا يطمئن، ومتأرجح النفس لا يستقر نحو قوله تعالى:«وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ۚ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ »[42]. يرسم النص القرآني صورة من ارتدّ عن الهدى فاتّبع الهوى وآثر الحياة الدنيا في هيئة كلب يلهث في كل حال، وإن طردته أو تركته[43]، إن جاع أو شبع، فالمثل « تشبيه للهيئة المنتزعة مما عراه بعد الانسلاخ من سوء الحال واضطرام القلب، ودوام القلق والاضطراب، وعدم الاستراحة بحال من الأحوال بالهيئة المنتزعة مما ذكر في حال الكلب»[44]. ففي الصورة تمثيل لنفسية رجل مكب على أعراض الحياة الدنيا في نهم وشره، لا يعقد عن ذلك شبع ولا غنى، فكلما ركض وراء شهواته ازداد تعلقا بها.

2-الصورة الحركية:

إن الحركة علامة على وجود الحياة في الكائنات الحية كماأن الكون علامة على انعدامها فالحركة حياة والسكون موت.

وتأتي جمالية الحركة في التصوير من أنها تعمل على تكوين النص بالحيوية وشحذ الخيال، وتوسيع دائرة الخيال في الرؤية"وتقوم الحركة في اللغة بتوظيف المشاعر والتأثير فيها، لأن اللغة

Edited with the trial version of Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit: www.foxitsoftware.com/shopping

في حركتها إنما تثير الحس بالجمال لدى الإنسان ويزداد الحس إثارة كلما توصلت حركة اللغة التي تولد بدورها الانفعال بدلالة الكلمة، والمنعة بجمال دلالتها التي تضفي على النفس هالة من الأطياف والانبعاث والنشاط، وبما يلقى فيها من إيحاءات وتخيلات ذهنية وفكرية ونفسية فتتحرك معها عواطف الإنسان"[45]

والخطاب القرآني يفيض بصور حركية مفعمة بالحياة تنطق بما وراءها من المشاعر الدفينة وتحمل في أحشائها حشدا من العواطف والدوافع، والحركة على أنواع تظل سمة من سمات التصوير في القرآن الكريم.

من أمثلة ما يرسمه الخطاب القرآني صورة حركية الهلع الذي ينتاب الكافرين يوم القيامة حين يبعثون من قبورهم يسرعون الخطأ مادين أعناقهم إلى داع لا يعرفون إلام يدعون، ولا إلى أين يسير بهم، ومن ذلك قوله تعالى:«خُشَّعاً أَبْصارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْداثِ كَأَنَّهُمْ جَرادٌ مُنْتَشِرٌ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكافِرُونَ هذا يَوْمٌ عَسِرٌ »[46]

تشبه صورة الموتى حين يخرجون من قبورهم وينتشرون على الأرض، وقد ملأ الرعب قلوبهم بالجراد المنتشر، في كثرة الحركة والتدافع الشديد، والتصادم العنيف، وجولان بعضهم في بعض من غير تعقل ولا تحديد وجهة للمسير، وصورة الجراد المنتشر تستحضر في الأذهان أناسا جبناء حين يفرون من الحرب فزعين خائفين فيتفرقون على غير هدى، ويضربون على وجوههم تتبعهم الذلة والذعر[47]

وتضافر الصورة الكنائية في النص على استكمال أبعاد الصورة النفسية القائمة على الحركة الخائفة، فمن قوله:«خُشَّعاً أَبْصارُهُمْ» كناية عن الخوف القاتل والإحساس بالهول حيث تبدوا أبصار الجموع الخارجة من الأجداث خاشعة ذليلة عليها ملامح الذل والهوان.

ولتوضيح أكثر نمر إلى صورة نفسية أخرى على عجل نستأثر فيه الأفعال بتحريك أجوائها ورسم انتقالاتها الحسية المتحركة في إطار الزمان والمكان، من ذلك قوله تعالى عند الندم القاتل الذي يشعر به صاحب الجنتين أثر الدمار الذي اعترى جنتيه من كل حدب وصوب قال تعالى: «وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا»48. إن الجملة (يقلب كفيه)تشكل صورة كنائية حركية تتكفل بنقل مشاعر الندم التي عاشها الرجل الكافر وهو يرى مزرعته مدمرة وشاهد مناظرها البهيجة مهشمة محطمة والتعبير بحركات الجسد حاله معروفة لدى الإنسان إثر الصدمات النفسية الحادة إذ أن راحة اليد البشرية تقدم أقوى الإشارات الصامتة للإطلاع على نفسية مستعمليها[49]. بل إنها أبلغ من اللسان، وكأن اللسان عاجز حينذاك عن التعبير. إذ يقلب كفيه ليس فقط على إبادة مزرعته فحسب، بل على ما

Edited with the trial version of Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit: www.foxitsoftware.com/shopping

أنفق فيها من جهد ضائع ومال تالف، لكي تبقى مزرعته مثمرة بالعطاء الدائم، ثم يعبر بلسانه عن أسفه المرير على إشراكه بالله عز وجل.

إن التقاط هذه الحركة(يقلب كفيه) تميل وتنعطف إلى ما تحمله نفسه من الندم والتحسر تجاه هذا العرض ومدى مطابقتها مع الموقف الوجداني الذي يبغي النص القرآني إبرازه وإظهاره.

- **خاتمة:**

وفي الختام ننتهي إلى نتائج تؤكد أهمية الضرورة في الخطاب القرآني باعتبارها تهدف إلى تحويل غير المرئي من المعاني إلى المحسوس، وتحويل الغائب إلى ضرب من الحضور ومن هنا يكون الأداء النفسي متوافقا ومرافقا بل وممتزجا بالأداء اللغوي والتعبيري.

وتضمنت هذه الخاتمة أهم النتائج منها:

1- أثبت البحث أن النص القرآني من خلال التأويل والتحليل البياني بامتياز بالمرونة والشمولية وفصل الخطاب، وهذا ما جعله يستحوذ على قلوب وعقول المخاطبين به في كل زمان ومكان.

2- إبراز أغراض التعبير القرآني التي تألف أكثر من ثلاث أربعا القرآن من ناحية الكم، وكلها سنقدم طريقة التصوير.

3- شخص القرآن الصور النفسية فرسم صورة حسية لمشاهد الندم والحسرة وطاف ووقف عليها ليستخلص الهدف الأساس من سردها في ثنايا القصص القرآن.

4- مثل الصور التمثيلية، وأحضر الدلالات الكامنة التي تقف خلف أستار التصوير المتحرك الذي يبرز فيه المشاعر النفسية والوجدانية التي ترسم في النفس قلقي الدائم وحيرتها المستمرة وهذا ما مثلته سورتا (القمر، الكهف)ضمن النموذج.

5- ثمة مظاهر خارجية جسمية تستقطب بدلالاتها الإيحائية انفعال النفس وتأثير الوجدان وهي تنحصر في القرآن في ملامح الوجه، ونظرات العين، ونبرات الصوت، وهيئة الجسم وتخطي مظاهر الوجوه والعيون بنصيب وافر في تشخيص الحالات النفسية علما أن جل هذه المظاهر كادت أن تقتصر على إضاءة انفعال الخوف والحزن.

Edited with the trial version of
Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit:
www.foxitsoftware.com/shopping

المصادر والمراجع:

[1]: سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص32.
[2]: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق وشرح:عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ج1،ص75-76.
[3]:أحمد عبد السيد الصاوي، مفهوم الاستعارة في بحوث اللغويين والنقاد والبلاغيين، دراسة تاريخية فنية، منشأة المعارف بالإسكندرية، 1988، ص15.
[4]:عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، شرح ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2002م.
[5]:عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، تعليق محمد رضا رشيد رضا، تصحيح: محمد عبده، ص101-102.
[6]:المرجع نفسه،ص33.
[7]: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص499.
[8]:الزمر، الآية 17.
[9]:أحمد عبد السيد الصاوي، مفهوم الاستعارة في كون اللغويين، ص142.
[10]:عبد الفتاح لاشين، صفاء الكلمة من أسرار التعبير القرآني، دار المريخ، الرياض، 1983م، ص5.
[11]:منير سلطان، الصورة الفنية في شعر المتنبي، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2002م، ص149.
[12]:ينظر،محمد مصطفى بدوي، كولوردج، سلسلة نوابغ الفكر العربي، دار المعرفة، القاهرة، ص159.
[13]: ت.سإليوث، مقالات في النقد الأدبي، ترجمة لطيفة الزيات، دار الجيل القاهرة، ص5.
[14]:محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار الثقافة بيروت، لبنان، 1973م، ص457.
[15]:أحمد الشايب، أصول النقد الأدبي، مكتبة النهضة المصرية، ط2، ص232.
[16]:محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، ص457.
[17]:إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، دار القلم، بيروت، د.ت، ص22.
[18]: سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، ط3، 1993، ص36-37.
[19]:محمد سعيد رمضان البوطي، من روائع القرآن، ص199-200.
[20]: مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، ص65.
[21]:عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، دار الفكر العربي، القاهرة، ص65.
[22]: بكري شيخ أمين، التعبير الفني في القرآن،ص281.
[23]: القصص، الآية18.
[24]:الطور، الآية13.
[25]: ينظر:عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب،ص159.
[26]:البقرة، الآية 49.

Edited with the trial version of
Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit:
www.foxitsoftware.com/shopping

[27]:ينظر: بكري الشيخ أمين، التعبير في القرآن، ص181-182.

[28]:الليل، الآية5-7.

[29]:المدثر، الآية3-7.

[30]: الحجرات الآية 13.

[31]: الأنعام، الآية151.

[32]: الإسراء، الآية31.

[33]: الزمر، الآية64

[34]: عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير عند سيد قطب، ص131.

[35]:الإسراء، الآية44.

[36]:آل عمران، الآية103.

[37]:البقرة، الآية168.

[38]: الحج، الآية31.

[39]: مريم، الآية4.

[40]:القمر، الآية12.

[41]:سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص35.

[42]: الأعراف، الآية176.

[43]:تفسير القرآن العظيم، ج2،ص355.

[44]:روح المعاني في تفسير القرآن الكريم، آلا لوسى، مج5، ج9، ص115.

[45]:

[46]: القمر، الآية6-7.

[47]: إبتسام مرهون الصفا، التعابير القرآنية والبيئة العربية في مشاهد القيامة،ص111.

[48]: الكهف، الآية42.

[49]:آلنبيز، لغة الجسد، كيف تقرأ أفكار الآخرين من خلال إيماءاتهم، ترجمة سمير شيخاني، ص35.